

نصوص إباضية مخطوطة في فلسفة المعرفة الحواس والمحسوسات

Manuscripts Ibadi texts on the philosophy of knowledge, Senses and Perceptions

حاج دواق

جامعة الحاج لخضر
باتنة 01 / الجزائر
Elhadj_1971@yahoo.fr

عبد الرزاق بلقاسم*

جامعة الحاج لخضر
باتنة 01 / الجزائر
Abderrazakbelkacem@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/02/09 تاريخ القبول: 2022/09/08 تاريخ النشر: 2022/09/30

الملخص:

محاولة للحفر في مصادر علم الكلام الإباضي المغربي القديم الذي لا يزال مخطوطا، بهدف استخراج نصوص فلسفية حقيقية، على أن تكون نصوصا كاملة من حيث المضمون وكافية من حيث الحجم، ولا تحتاج إلى تأويل في غير ظاهر النص، حيث يمكن تصنيف هذه النصوص المستخرجة تحت أحد مباحث الفلسفة التقليدية، وتحديدًا "نظرية المعرفة"، والمنهج المعتمد في عملية التنقيب هذه هو "علاقات النصوص واستخراجها".

و حتى تكون الدراسة واضحة المعالم، سوف نبث في ثلاث من أقدم المصادر الكلامية الإباضية من القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة. المصدر الأول "التحف المخزونة" لأبي الربيع سليمان بن خلف المزاتي (ت 471 هـ). أما المصدر الثاني فهو: "كتاب شرح الجهالات" مؤلفه: "أبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني" توفي 571 هـ، والذي لا يزال مخطوطا. أما المصدر الثالث فهو "مخطوط كتاب السؤالات" المنسوب إلى "أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغني" توفي 550 هـ. أما النص الذي نعمل على استخراجه من هذه المصادر الثلاث فله مضمون معرفي واحد هو: "الحواس والمحسوسات".

الكلمات المفتاحية: الحواس والمحسوسات، علاقات النصوص، علم الكلام، الإباضية المغربية، نظرية المعرفة.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

An attempt to dig into the sources of the ancient Maghreb Ibadhi theology, which is still in manuscript and to extract real philosophical texts that are complete in terms of number and size and do not require interpretation or reading in the apparent meaning of the text. Which can be classified under the philosophical traditional subject that is the theory of knowledge according to the most recent methods of how to behave with heritage which is texts relations'?

In order for the study to be clear, we will look at the three oldest Ibadhi speech sources before the sixth century of AH: The stored antiques: by Abu Al-Rabee Suleiman bin Khalaf Al-Mazzati, the Book of Sharh al-Jahalat" by "Abu Ammar Abd al-Kafi al-Tanawti " and. the Book of Questions" by "Abu Amr Othman bin Khalifa Al-Sufi ".

Key words: Senses and sensory objects, texts relations, theology, Ibadi Maghreb, epistemology.

مقدمة:

يعتبر القول بوجود علم كلام إباضي مغاربي نشأ كداعم ومبرر للمقولات والآراء العقدية للطائفة الإباضية، حقيقة تاريخية ومعرفية لها ما يبررها، ولكن القول أن الإباضية لها اهتمام بالفلسفة كمعرفة إنسانية وضعية يبدو مجرد ادعاء من الصعب تبريره . صحيح أن علم الكلام بيئة ملائمة لنشأة الفلسفة، لكن من الصعب أن نجد مؤلفا واحدا من قائمة مؤلفات الإباضية المغاربية القديمة تفرغ للفلسفة أو خصص فصلا للآراء الفلسفية، في المقابل من السهل أن نستخرج نصوصا إباضية تصور "ارسطوطاليس" و" نظرية الهيولى" على أنها "دهرية" غير مرحب بها.

أكد الباحثون المعاصرون في الآراء الكلامية الإباضية على قلتهم ما ذهب إليه الدكتور عمار طالبي الذي نفى وجود آراء فلسفية حقيقية في التراث الإباضي القديم حيث يقرر بقوله: " لم نجد فيما اطلعنا عليه من كتب المقالات والمجلد آراء طبيعية تنسب إلى الخوارج، إلا بعض آراء نسبت إلى الإباضية، لذلك رأينا أن نفردها بالكلام، لما لها من أهمية كلامية وطبيعية تنسب إلى الخوارج، إلا بعض آراء نسبت إلى الإباضية، لذلك رأينا أن نفردها بالكلام، لما لها من أهمية كلامية وفلسفية، ومما يدل على أن الإباضية أيضا لم تهتم كثيرا بالآراء الطبيعية أن أبا عمار الذي يعتبر "كتابه الموجز" الصورة النهائية تقريبا للمذهب الاباضي الكلامي قال- بصدد الكلام على الآراء الكلامية :-

(وتنكبت القول فيما هو دونه من السكون والحركة والجواهر والعرضات والمختلقات بالصفات والمتضادات للأعيان... والمتولدات) (طالبي، 2013، صفحة 211).

ولكن مع حركة الفهرسة التي شهدتها خزائن مزاب للمخطوطات الإباضية التي بدأت مع "جمعية التراث القرارة" واستمرت مع "مؤسسة عى سعيد" و "جمعية أبي إسحاق أطفيش" ولا تزال مستمرة إلى الآن، مما أدى إلى اكتشاف عناوين كثيرة كانت معلومة الوجود من خلال كتب السير، لكن لا أحد يعرف بوجودها في واقع خزائن المخطوطات ومع هذه الحركة البيبلوجرافية الناجحة ضعف الحكم القائل بنفي وجود آراء فلسفية في التراث الإباضي، ولم يعد من البداهة الاستنتاج بناء عليه.

ويمكن القول أن ما استنتجه الدكتور عمار طالبي هو فقط حكم مبني على عدم تمكنه من المصادر المخطوطة الموجودة حقيقة في الخزائن الإباضية.

نعلم الآن - بفضل حركة الفهرسة التي ذكرت سابقا- أنه توجد بالفعل مصادر نادرة في علم الكلام ظلت حبيسة الخزائن لأكثر من ألف سنة، والأكد أن التكتم أو اللامبالاة في توفير صور لنسخ مخطوطة من نوادر مثل "مخطوط شرح الجهالات" " لأبي عمار عبد الكافي التنتاوي" (ت 571هـ)، و"مخطوط السؤالات" لأبي عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي" (ت 550هـ)، وغيرهما سوف يطيل عمر "الأحكام المسبقة" اتجاه الفكر الإباضي ككل.

لتشخيص هذه الفكرة نضرب مثالا باكتشاف نسخة مخطوطة من "كتاب التحف المخزونة" لأبي الربيع سليمان بن يخلق المزاتي الوسياني (توفي 471هـ)، والتي فرضت إعادة النظر في القول بانعدام نصوص إباضية مغربية فلسفية، واكتشاف قائمة من مؤلفات: أبو محمد عبد الله بن يزيد الفزاري" (توفي القرن 2 للهجرة) في خزانة "الاستقامة" "أت يزجن" "غرادية"، والذي يعتبر حدثا معرفيا ثوريا في تاريخ الكتب والمكتبات، لكن للأسف لم يتم تثمينه.

عملية تحقيق مخطوطات إباضية مغربية ذات طبيعة موسوعية أمر يحتاج إلى كثير من التعاون والجهد والترحيب من مالكي هذا التراث، والقائمين على خزائن المخطوطات في مزاب، الشيء الذي لا تظهر مؤشرات في الوقت الحالي والقريب، والبديل الأمثل هو "علم علاقات النصوص" و"استخراج النصوص" هذه المناهج اكتملت قواعدها ومبادئها وآلياتها، وحقت بالفعل نجاحات هامة يدركها المهتمون بالتراث الإسلامي والإنساني، والأكد أن ما

كتبه "الدكتور كمال نيهان عرفات" في موسوعته "علاقات النصوص" من قواعد للمنهج "أوما سماه" "الببليوجرافيا التكوينية" كاف بتطبيقه على التراث الإباضي المغربي من أجل انتقاء نصوص محددة، ذات طبيعة معرفية متجانسة، نصوص عابرة للمصادر اقتباسا أو إغارة أو شرحا أو تحشيه أو تكملة.

أما الفرضية التي ننطلق منها فهي "إمكانية وجود نصوص حقيقية متكاملة ذات طبيعة فلسفية خالصة ضمن التراث الإباضي الكلامي المغربي"، نصوص كافية حجما وعددا للبناء عليها، واستخراج "مقولات فلسفية نسقية" مؤسسة لنظرية فلسفية في أحد مباحث الفلسفة بالمعنى التقليدي: الوجود، المعرفة، القيم. وهي فرضية إن نجحت فسوف تكون مفيدة للغاية، خاصة إذا اكتشفنا الحد الأدنى من ملامح هذه المقولات الفلسفية.

وحتى لا نتوه في غابة من الآراء الفلسفية سوف ننقب من خلال هذه المقالة عن مضامين في مبحث فلسفي محدد هو "نظرية المعرفة" ونص محدد، اقترحت أن أسميه "الحواس والمحسوسات" هذا النص ولد في: "كتاب التحف المخزونة" لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي من القرن الخامس للهجرة، حيث أخذ حجم هام من الكتاب، ثم انتقل هذا النص اقتباسا إلى "كتاب مخطوط السؤالات" لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغني (ت550هـ) دون أن يشير إلى مصدر الاقتباس وضمنه السؤال الثاني والخمسين كاملا.

نتقل النص بعدها إلى "مخطوط كتاب شرح الجبهالات" لمؤلفه "أبي عمار عبد الكافي التناوي الوارجلاتي" (ت571هـ) الذي شخص المقولات التي جردها "أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي" من هوية القائلين بها، ونسبها: أبو عمار إلى أصحابها الأصليين دون أن يحدد مصدر اقتباسه

هذه "النصوص الثلاثة" هي كل ما أنتج الفكر الإباضي المغربي من آراء "مسألة الحواس والمحسوسات" كمصدر للمعرفة، ولا يوجد نصوص غيرها ضمن التراث الإباضي المغربي القديم- إلى أن يثبت العكس - وأفترض أنها مادة معرفية تراثية كافية لبناء نظرية فلسفية في المعرفة عند الإباضية المغربية.

إعتمدنا منهج "علاقات النصوص" و"استخراج النصوص" دون تجاوزها إلى التحليل أو التأويل أو التفسير أو حتى التصحيح، فالهدف هو استخراج النصوص وتوفير المدونة اللازمة للبناء عليها في دراسات أخرى والجواب على التساؤل:

هل نصوص "الحواس والمحسوسات" التي سوف نستخرجها ونؤصل لها في هذه الدراسة ذات طبيعة فلسفية حقيقية ؟

أولا/ نظرية البليوغرافيا التكوينية:

لقد تفرغ "الدكتور نهان كمال عرفات" للبحث في "علم البليوجرافيا"، ووضع قواعد منهجية في ما إصطلح عليه بـ "نظرية البليوجرافيا التكوينية" حيث يعتقد أنه مكتشف منظومة منهجية لهذا العلم الجديد. ويصف مضامين هذه النظرية بأنها جديدة في مضمونها وتسميتها، وهي تؤسس مجالا جديدا في دراسة التأليف وعلاقات النصوص والضبط البليوجرافي التكويني وتضيف بعدا جديدا في علم البليوجرافيا وعلم المعلومات وتقدمها نظرية وميدانية لتأسيس علم النصوص العربية (نهان، 2015) وقد طبق هذا المنهج بنجاح على التراث الاسلامي من خلال مجموعة من الفهارس الكبرى. نستعير من هذه النظرية الحد الأدنى من القواعد التي سوف نطبقها على نصوص الثلاث ذات الطبيعة الفلسفية في التراث الاباضي الكلامي المغربي القديم.

1. مفهوم البليوجرافيا التكوينية:

يرى "الدكتور نهان كمال عرفات" أن أولى التعريفات لعلم علاقات النصوص أو ما سماه البليوجرافيا التكوينية قال به W.W.Greg فهو "أشبه بعلم الأجنة، الذي يخلص الولاء للجنين (النص) حتى يخرج للحياة..ثم يمنحه الولاء مجددا، عندما يسهم في نقل بعض الخصائص الوارثية للنص لأجيال تالية، التابعة أو المرتبطة أو المستخدمة للنص (...)" تنتسب هذه الفكرة الى والتر جريج W.W.Greg الذي كان يقصد أن تكون البليوجرافيا علما للأنساب Genealogy والعلاقات بين النصوص الى جانب كونها علما لانتاج واعادة انتاج النصوص. (نهان، 2015، الصفحات 90-91)"

2. علاقات النصوص وأنواع التأليف:

تتحدد العلاقات بين النصوص بناء على تحديد أنواع التأليف، والتي تتحدد بدورها بناء على دور المؤلف ومدى اعتماده في تأليفه على نصوص غيره بمعنى هل هو مبدع للنص المؤلف أم موثق له؟ وبالتالي سوف نجد أنفسنا أمام حالتين من التأليف: الإبداعي والوثائقي.

أ. التأليف الإبداعي:

التأليف الإبداعي: هو ما تنطبق عليه تسمية تأليف وعلى واضعه مؤلف "وهو الذي ينطلق فيه المؤلف معبرا عن نفسه بغير ارتباط بوثائق معينة أو منهج معين يلزمه بتوثيق مصادر أقواله، كالشعر" (نهبان، 2015، صفحة 47) وهذا النوع من التأليف بعيد عن مجال اهتمام البحث.

ب. التأليف التوثيقي:

التأليف الوثائقي: وهو أقرب إلى التدوين والتصنيف "وهو التأليف الذي يعتمد على أشكال متعددة من الاتصال لتجهيز المواد المنتجة ومن أهم أشكال الاتصال هذه الاتصال القرائي بالمصادر والمراجع وكل أشكال الوثائق." (نهبان، 2015، صفحة 48) وتحت سقف التأليف الوثائقي سوف نكتشف قائمة كبيرة من أنواع التأليف وتنقسمها يتوقف دائما على العلاقة بين النصوص النص الأصلي و"النص الفرعي" أو ما يسمى "النص المحوري": و"النصوص الفرعية".

ثانيا/ تطبيق علاقات النصوص على نص الحواس والمحسوسات في مصادر التراث الإباضي المغاربي:

سوف نطبق منهج "علاقات النصوص" التي ضبطنا منها المفاهيم الوظيفية التي نحتاجها في هذه الدراسة، وهي: "النص المحوري" الذي يجسده نص الحواس والمحسوسات في "كتاب التحف المخزونة" لأبي الربيع سليمان بن خلف المزاتي "و"النصوص الفرعية" التي توزعت بين "مخطوط كتاب شرح الجبهالات" لأبي عمار عبد الكافي التناوتي "و"مخطوط كتاب السؤالات" لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي"، ولا يتطلب الأمر المقارنة بين هذه النصوص فالإقتباسات مؤكدة فيها للتطابق اللغوي، وتطابق المضامين كليا أو جزئيا.

1. النص المحوري:

هو أقدم نص إباضي مغاربي في نظرية المعرفة وضبط مفهوم الحواس والمحسوسات، يأخذ الصفحات [88 إلى 94] من مخطوط "التحف المخزونة"، نسخة الخزنة البارونية جربة، رقمها: 20/20"، عدد الأوراق 55 من تأليف "أبو الربيع سليمان بن خلف المزاتي (توفي 471هـ). و المخطوط تم تحقيقه مرتين، وهو مطبوع ومنشور مرتين، التحقيق الأول للباحث المرحوم محمود والأندلسي، والتحقيق الثاني للباحث الجزائري "حمزة بومعقل"

وكلا التحقيقين كانا ضمن دراسات أكاديمية، وقد أحاط الباحثون بالتعريف بسيرة المؤلف، ثم أوردوا فصلا في دراسة محتوى التأليف بالقدر الضروري الكافي، وهذا ما يغنيننا عن إعادة كتابة النص كاملا، وإثبات نسبته إلى المؤلف.

نكتفي باستخراج فقرة صغيرة "للإستشهاد والتمثيل" من خلالها على التطابق بين النص الأصلي "التحف" و "النصوص الفرعية" التي لا تزال مخطوطة، والتي سوف نكتشفها ونحقق النصوص التي نعتقد أنها مقتبسة من التحف "إقتباسا غير معلن!" لذلك سوف نكتف العمل على هذه النصوص المخطوطة، من خلال التعريف بأصحابها وإثباتها لهم لأنها لم تدرس، مع الإشارة إلى ملاحظة منهجية أعتقد أنها هامة: فقد بدأ العمل على مخطوط "التحف" من الباحث الليبي المرحوم "محمود الأندلوسي" ضمن مشروع دراسة لنيل الدكتوراه، لكن شاءت الأقدار أن يتوفاه الله قبل المناقشة فواصل "الدكتور المبروك الشيباني المنصوري" المشروع بدعم وتشجيع من "الشيخ الدكتور فرحات علي الجعيري" حيث سجل في مقدمة نسخة مرقونة: "كان الباحث محمود الاندلسي رحمه الله، قد حقق الكتاب . وصدره بدراسة مستقلة بين فيها جميع المفاصل العقدية التي ضمنها المراتي كتابه (...). ثم طلب منا الشيخ فرحات الجعيري مراجعة التحقيق قصد إعداده للنشر فراجعناه كاملا". ولكن الكتاب المحقق صدر عن "مكتبة خزائن الآثار" عمان الطبعة الأولى 2017، وقدم له من وصف نفسه "رفيق دربه": "محمد مصلح" الذي عبر عن بهجته بقوله: "أحسست بسعادة غامرة وأنا أتشرف بتقديم (التحف المخزونة والجواهر المصونة) لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاني، بتحقيق أخي المرحوم محمود الاندلسي" (المزاتي ا، 2017، صفحة 09) دون أن يحدد دوره في إخراج الكتاب أو دور الشيخ الدكتور فرحات الجعيري والدكتور المبروك الشيباني المنصوري التونسيان ؟ وما يهمننا من هذه الملاحظة هو أن ما تم طبعه محقق سواء بتصدير "الشيباني" أو "محمد مصلح" أو "الشيخ الخليلي" أو "الدكتور المبروك الشيباني المنصوري" أن تحقيق الباحث محمود الأندلوسي للمخطوط اعتمد على نسخة فريدة متأخرة وصفها في قوله: «وقد تم الكتاب عند صلاة الظهر يوم الأربعاء لإحدى وعشرين خلون من شهر شوال عام تسع وستين بعد مائتين والـ ألف من الهجرة (1269هـ)» (المزاتي ا، 2017، صفحة 585)، في المقابل يروي المحقق الثاني "لمخطوط التحف المخزونة" كمشروع رسالة ماجستير جامعة الجزائر العام 2016/2015 "الاستاذ حمزة بن بوسهال بوعقل، الذي استفاد من هذه النسخة الأقدم الموجودة في

مكتبة عبي سعيد، المؤرخة نسخا شهر صفر عام اربعة وثمانين وثمانمائة (884 هجرية) والناسخ: "سعيد بن علي الخيري" المشهور "بعمي سعيد الجري" قلت يروي في مقدمة دراسته: "وقدر الله أن أجد في الانترنت سيرة ذاتية لأحد الدكاترة قال: أنه اعتنى بالتحقيق بغرض طبعه فراسلته طلبا لنسخة من العمل فأبى ذلك متعذرا بكونه لا يريد توزيعه حفاظا على حق المحقق الأصلي، وأبى كل الإباء من تمكيني من نسخة منه، رغم أنني وعدته ألا تتعداني النسخة، وأن عرضي علمي بحثي خالص لا علاقة له بالطبع، إلا أن الأمر لم يجد نفعاً للأسف الشديد، وطلباتي لم تجد الى قناعاته سبيلا. وعلى كل فالتحقيق المذكور تم باستعمال نسخة وحيدة" (المزاتي ا.، 2016، صفحة 80).

2. النصوص الفرعية:

أ. النص الفرعي الأول: مخطوط كتاب السؤالات لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغني (ت550هـ)
■ المؤلف:

لم يترجم له أبو زكريا في سير الأئمة فهو سابق عنه، أما الوسياني تلميذ السوفي فقد حفظ لنا خمسة روايات عنه، وأهم الأخبار التي انفرد بها عن غيره من كتاب السير هو ذكره للإسم الكامل للسوفي: " وذكر أبو عمرو الشيخ الكريم عثمان بن خليفة بن يوسف المرغني رحمه الله " (الوسياني، 2009، صفحة 646) وحفظ لنا سند السوفي في الرواية أو ما يصطلح عليه " سلسلة نسب الدين " جاء فيها: " وقد كان الشيخ ابو عمرو رحمه الله في إسناده يقول في أخذه الدين: أبو عمرو عن أبي العباس، عن أبي الربيع سليمان بن ي خلف، عن ابي عبد الله محمد بن بكر، عن أبي نوح سعيد بن زنفيل، عن أبي خزر عن سحنون بن أيوب، عن سعيد بن أبي يونس وسيم بن نصر، عن الإمام أفلح، عن والده الإمام عبد الوهاب عن الإمام أبيه عبد الرحمان بن رسم، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد، عن أبي العباس عن النبي ص عن جبريل " (الوسياني، 2009، صفحة 539).

صنف الدرجيني "السوفي" ضمن الطبقة الحادية عشرة (500/550 هجرية) وقدم أخبار هامة عن مناظرات السوفي مع المخالفين وتآمرهم عليه، ويعتبره من أهم المتكلمين " ومنهم أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي رحمه الله وهو في أهل المذهب احد الاعلام الكاشف بحسن بيانه ونور منطق لسانه دياجي الظلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المجاحش المدافع عن كلمة الاسلام، حتى أن له في موطن اللين قراعا بلسان مخدام، وربما

كان في محل هدنة فاشتعل الاضرام، ولم يعبأ بمن قال: لكل مقام مقال " (الدرجيني، 1974، صفحة 483) وينقل الدرجيني عن خصوم السوفي وصفهم له بالقول: " اعلموا أن الرجل عالم ذو قدرة على المناظرة ولا طاقة لكم به " (الدرجيني، 1974، صفحة 484).

في الاخير نلاحظ أن كل كتب السير تجمع على نسبة أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغني الى أسوف واد سوف الحالية التي يصفها السوفي نفسه ببلادنا: " وقال عثمان خرجت من وارجلان أريد ناحية بلادنا فخرج معي أيوب بن اسماعيل وموسى بن علي يودعاني " (الدرجيني، 1974، صفحة 483). رغم أن الشماخي ذكر أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي 28 مرة في سيره ولكن اغلب رواياته مصدرها الوسياني وتفرّد بنسبة كتاب السؤالات إلى أبي عمرو وفصل في ترجمة من جمع السؤالات وراجعته وقد سبق ذكرهم في التعريف بالكتاب.

■ نسبة النص إلى المؤلف :

ينسب "كتاب السؤالات" إلى أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المرغني (ت 543 هـ) والحقيقة أن تدوينه ذو طبيعة تجميعية تداولت عليه الأقالام، ففي مقدمة مخطوط السؤالات نقرأ: "سؤال الشيخ أبي عمرو على عدد من تلاميذه وعلى كتب الشيوخ رحمهم الله واللغة فصيح فهو الأم إن شاء الله، عرضتين معروض عن الشيخ أبي محمد عبد الله رحمه الله وقد عرض بن سجميمان والمعيز بن جناو وأبي الفتوح والعرضة الآخرة على الشيخ أبي نوح صالح بن الشيخ إبراهيم رحمة الله عليهم." (السوفي، 000، صفحة ورقة 1 صدر).

رغم أن الوسياني من تلاميذ السوفي ونقل عنه روايات كثيرة في "سيره" إلا أنه لم ينسب إليه تأليف محدد. كما أن "الدرجيني" في طبقاته وهو بالنص الأوحّد الذي يعطينا أخبار هامة عن "سيرة السوفي" لم ينسب إليه تأليفا محدد، أول من نسب " كتاب السؤالات" إلى "السوفي" هو "أبو القاسم البرادي" في "الجواهر والمنتقىة" وفي "قائمة مؤلفي المغرب"، يقول البرادي في كتاب الجواهر: " ولأبي عثمان السؤالات " (البرادي، 2014، صفحة 238) ويكرر نسبة الكتاب في قائمة مؤلفي المغرب: " وسؤال الشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي .. " (طالبي، 2013، صفحة 291). يأتي الشماخي ليعطينا كل التفاصيل التي نحتاجها عن "كتاب السؤالات" فقد اعتمده كأحد مصادره في كتابة السيرة، واقتبس منه روايات كثيرة ففي ترجمته للسوفي يذكر أن " له من التأليف كتاب السؤالات

وهو تأليف مفيد أظهر فيه منزلته من العلم، وله غيرها من التأليف وله مناظرات مع المخالفين وكل ذلك يفهمهم ويبيهم " (الشمخي، 2009، صفحة 103).
ويعطينا "الشمخي" تفاصيل أوفى عن كتاب السؤالات، وعن الزيادات فيه .

ب. النص الفرعي الثاني: مخطوط كتاب شرح الجهالات لأبي عمار عبد الكافي التناوتي (ت 574هـ)

■ المؤلف:

نشير بداية إلى ما كتبه الدكتور عمار طالبي في وصف شخصية أبي عمار عبد الكافي التناوي الوارجلاني: "يعتبر أبو عمار من الذين أحيوا المذهب الإباضي تأليفاً وتعليماً، وهو من أعظم مؤلفي الإباضية مقدرة على الجدل والنظر، وأكثرهم عمقا في التفكير وتنظيماً للمذهب، في نسق عقلي دقيق متماسك، وهو لا يقل عن متكلمي المعتزلة والأشاعرة والشيعة مقدرة على التأليف وإحاطة بالمذاهب، ودفاعاً عن المذهب، ونصرة له" (طالبي، 2013، صفحة 219)

أما في المصادر الإباضية فلا نكاد نعثر على مصدر في علم الكلام الإباضي المغربي ممن عاش بعد أبي عمار إلا ورجع إليه.

وقد انفرد "الدرجيني" بالترجمة بشكل مفصل، وكل من ترجمة " لأبي عمار" في السير اللاحقة عن "الدرجيني" اعتمدت كلياً عليه ففي "الطبقات" يصفه: " منهم أبو عمار عبد الكافي رضي الله عنه، ابن يعقوب التناوتي. تدارك المذهب قد أقبر فأنشره نشورا، ونوه به وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، فأحيى الله به رفاته، وجمع ببركته شتاته، خدم العلم دهرًا حتى وعاه.، وأوعى منه الأوعية ثم أخذ يفتيه ويعلمه، فسالت منه الأودية، في تصنيف كتاب، أو تهذيب جواب، أو تدرب متكلم، أو إفادة متعلم، وهو الذي أزرى بموجزه على الماضين" (الدرجيني، 1974، صفحة 485).

ويفصل الدرجيني في "رحلة أبي عمار" للدراسة في "جامع الزيتونة" تونس، ولعله الإباضي المغربي الأول الذي انفرد بهذا القرار أي الدراسة خارج الأطر الإباضية التقليدية "فهاجر إلى تونس فأقام فيها أعواما يدرس الليل والنهار، ولا يحضر بباله ذكر الأهل والدار، والذي توخاه في قصده تونس شيئين أحدهما ملاقة من يشغل خاطره عن ذكر أهله، والثاني أنه أراد أن ينقطع عن اللسان البربري بالبعد عن مخاطبه به، والتدرب على لسان العربية" (الدرجيني، 1974، صفحة 486).

وله مؤلفات في علم الكلام: "كتاب الموجز" و"كتاب شرح الجهالات" الذي يحتوي على نص "الحواس والمحسوسات" موضوع المقالة.

■ نسبة النص إلى المؤلف :

يوجد إجماع حول نسبة "كتاب شرح الجهالات" إلى "أبي عمار عبد الكافي التنتاوي" يمكن أن نتأكد من ذلك بقراءة مخطوط شرح الجهالات الذي يتميز بالوحدة العضوية والتماسك، من بدايته إلى نهايته، وكثيرا ما يذكر الشارح بداية الكتاب، ويحيلنا إلى كتابه "الموجز" وكتابه "الاستطاعة" المفقود. كما نسب "البرادي" الكتاب إلى أبي عمار عبد الكافي التنتاوي: "وكتاب الموجز للشيخ أبي عمار عبد الكافي بن يعقوب التناوتي الوارجلاني وشرح الجهالة له أيضا". (طالبي، 2013، صفحة 291) كما نسب الشماخي: "ومنهم أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب ممن أحيا الدين والمذهب إقراء وتأليفا. وكان في النون غاية وفي علم الكلام خصوصا أية، ألف الموجز في الرد على كل من خالف الحث في جزئين وشرح الجهالات في سفر وكتاب الاستطاعة وله غيرها" (الشماخي، 2009، صفحة 252).

ثالثا/ تحقيق النصوص:

1. النص المحوري: الحواس والمحسوس في التحف المخزونة لأبي الربيع

بما أن نص "الحواس والمحسوسات" في "كتاب التحف المخزونة" لم يعد مخطوطا فقد تم تحقيقه مرتين، نكتفي بثلاث فقرات من النصوص الثلاث لإثبات مدى التطابق بينها وتأكيد عملية الاقتباس، فنصوص "الحواس والمحسوسات" في "مخطوطات السؤالات" لأبي عمرو خليفة السوقي المرغني، ومخطوط: كتاب شرح الجهالات "لأبي عمار عبد الكافي التنتاوي الوارجلاني" هي استمرار بل اقتباسات لهذا النص الأصلي على ما تظهر المقارنة بين الفقرات التالية:

أ. الفقرة الأولى: من كتاب التحف المخزونة:

"فإن قال: كم من وجه تنال المعرفة ؟

الجواب في ذلك: أن الحواس الخمس هي السبب التي تنال به المعرفة، فيما روى عن الشيخ أبي نوح رضي الله عنه، وإما ما أدركته الحواس، وإما ما دل عليه ما أدركته الحواس.

فعلم ما أدركته الحواس كله اضطرار. وعلم ما دل عليه الحواس كله اكتساب، ولا ينال شيئا من العلم إلا بهذه المعاني التي ذكرها.

ب. الفقرة الثانية: من مخطوط شرح الجهالات: لأبي عمار عبد الكافي الوارجلاني

أما الحواس الخمس فإنها سبيل إلى إدراك المعلومات، فهي جوالب إلى القلب، فيميز القلب ما جلبت إليه، وأما المعلومات لتقسم قسمين: إما ما أدرك بالحواس أو ما دل عليه ما أدرك بالحواس.

والحواس: أبعاد الحاسة وهي أجسام جواهر ليست صفات ولا أعراض.
وأما المحسوسات: فإنها صفات أجسام سواء ما يدرك بحاسة السمع من الأصوات فإنه عرض من الأعراض، والمحسوسات صفات المحسوس عندنا.

ج. الفقرة الثالثة: من مخطوط السؤالات: لأبي عمرو عثمان بن خليفة السويفي

فإن قال: كم وجه تنال به المعرفة ؟

الجواب في ذلك: إن الحواس الخمسة هي التي تنال بها المعرفة فيما يروي عن أبي نوح رحمة الله عليه. وأما ما دل عليه ما أدركته الحواس كله اضطرارا وعلم ما دل عليه الحواس اكتساب، وما دل عليه ما أدركته يكون جسما ويكون عرضا لا جسما ولا عرضا وهو الله تعالى وعلمه أن الحواس اكتساب علمي للمحسوسات اضطرارا.

وأما الحواس: فهي سبيل درك المعلومات، وهي جوالب القلب فيميز القلب ما جلبت إليه، والحواس أبعاد الحاسة، وهي أجسام ما خلى الصوت، والحواس والمحسوسات تختلف وتتغير، وأما التضاد فلا يجوز فيها.

2. النصوص المفرعية:

أ. النص الفرعي الأول (الحواس والمحسوسات) في مخطوط كتاب السؤالات، لأبي عمرو عثمان بن خليفة السويفي (ت 550هـ) السؤال الثاني والخمسون

فإن قال: كم وجه تنال به المعرفة ؟

الجواب في ذلك: إن الحواس الخمسة هي التي تنال بها المعرفة فيما يروي عن أبي نوح رحمة الله عليه.

وأما ما دل عليه ما أدركته الحواس كله اضطرابا وعلم ما دل عليه الحواس اكتساب، وما دل عليه ما أدركته يكون جسما ويكون عرضا لا جسما ولا عرضا وهو الله تعالى وعلمه أن الحواس اكتساب علمي للمحسوسات اضطرابا.

وأما الحواس: فهي سبيل درك المعلومات، وهي جوالب القلب فيميز القلب ما جلبت إليه، والحواس أبعاد الحاسة، وهي أجسام ما خلى الصوت، والحواس والمحسوسات تختلف وتتغير، وأما التضاد فلا يجوز فيها .

فإن قال هل اختلفت لمعانها أو لها لي غيرها ؟

قيل له: أما اختلاف الحواس فيما بينها فإنها اختلفت لاختلاف المحسوسات، كما أن المحسوسات اختلفت لإخلاف الحواس وأما اختلاف الحواس مع المحسوسات فلأعيانها وكل ما يدرك بحاسة واحدة، فإن التضاد يقع فيه كالألوان فيما بينها والأرايح والطعوم فيما بينها.

وأما ما يدرك بحاسة واحدة أن يكون متضادا لما تدرك الأخرى فغير جائز، كالألوان والطعوم والأرائح والصوت.

فإن قال: أخبر عن المحسوسات هل تجتمع في محسوس واحد ؟

فقل: نعم إلا السمع .

وأما ما يدرك بحاسة واحدة فليس يحل منه المحسوس إلا صفة واحدة ما اتفق من ذلك وما اختلف .

فإن قال أخبرني عن الطبع في الحواس والاضطرار والاختيار ؟

فالطبع فيها قصد كل واحد منها عن إدراك ما تدرك الأخرى، والاضطرار ملاقاتها بالحواس، والاختيار فيها صرف الحواس واستعمال من الدراك قوله عز وجل: [فلما أحس عيسى منهم الكفر] أ ل عمران: 52 [أي: علم، وأصل الإحساس أي وجود للشيء بالحس. قال الشاعر:

ولسنا كقوم محدثين رياسة **** يرى مالها ولا يحس فعالها

مساعهم مقصورة في بيوتهم **** ومسع تنا العافون طرى عيالها

قوله عز وجل: [ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه] [....] أي: تقتلونهم .

قال الشاعر:

تحسهم السيوف كما تساما ***** حريق النار في الأجم الحصيد

قوله عزوجل: [لا يسمعون حسيستها] [الأنبياء: 102] أي: صوتهها، قوله عزوجل: [أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه] [يوسف: 87] أي: ابحثوا .
وقيل للحواس حواس لدركهن المحسوسات، وقيل للمحسوسات محسوسات لأنهن يدركن بالحواس، ويقال لهن أيضا الحواس من كتاب العين .

فإن قال: الحواس يدركن المحسوسات ، والمحسوسات يدركن الحواس ؟
فقل: أما حاسة اللمس، وحاسة الذوق لا يدركان إلا ما أدركها، وأما حاسة السمع وحاسة البصر وحاسة الشم فقد اختلفوا فيها منهم من قال أن الحواس يدركن المحسوسات ومنهم من قال أن المحسوسات يدركن الحواس ومنهم من يقول يتلاقيان .
فإن قال: هل يخرج هذه الحواس كلها على العلم ؟

فقل: نعم والدليل على أن حاسة السمع تخرج على العلم قوله تعالى: [وإنما لما سمعنا الهدى، آمنا به] [الجن: 13] أي: علمنا، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: [يدودوننا وتذودوهم عن الكفر والرحمان رأيا وسامع]. أي: عالم، والدليل على أن حاسة البصر تخرج على العلم قوله عزوجل: [بصيرا بما كانوا يعملون] [....]
قال الشاعر:

بصيريا عقاب الأمور كأنها ***** يرى بصواب الرأي ما هو واقع
وفي الحديث: [أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل فأمره به فبصر رأسه]،
أي: قطع
قال الشاعر:

ولما التقينا بصر السيف رأسه ***** فأصبح منبوزا على ظهر صفصف
الأرض المستوية، وفي الحديث: [بصر جلد الكافر أربعون ذراعا، وبصر كل سماء
خمس عام]

يقال: بصروصبر بضم الباء والصاد وهو الغلظ والنالحية.
والدليل على أن حاسة اللمس تخرج عن العلم قوله عزوجل: [وإنما لمسنا السماء] [الجن: 08] أي: اختبارناها وعلمناها .
قال الشاعر:

فإن تلمسوني تلمسوا جلد ضيغم ***** أذوق فلألعداء سم الأراقم

والدليل على أن الذوق يخرج على العلم قوله عزوجل: [فذوقوا بما كنتم تعلمون]
قال الشاعر:

فإن الله ذاق [فراغ] قيس ***** فينا رأي خفتها قلاها

أي: علم، والدليل على أن الشم يخرج عن العلم
قول الشاعر:

فإن تشممني في الحرب في الخندق ***** تروا فهم لمح السيوف القواضب
و الدليل على أن الرؤية تخرج على العلم قوله عزوجل: [ألم تر إلى ربك كيف مد
الظل] [الفرقان: 45] أي: كيف أي كيف امتداد الظل
قال الشاعر:

رأيت الله ربي ذا المعاني قديرا ***** ليس يعجزه العرار

آخر:

رأيت الله إذ سعى مزارا ***** وأسكنهم بملكه قاطنين

قوله عزوجل: [علم بالقلم] [العلق: 04] أي: علم الكتابة بالقلم، قوله: [كلا إن
الإنسان ليطغى] [العلق: 06] يعني أبا جهل: [إن رآه استغنى] [العلق: 07] أي: علمه، وسأل
الشيخ أبو زكريا يحي بن أبي بكر التلاميذ عن أي الطغيانين أشد، طغيان العلم
أو طغيان المال؟

فردوا فقال طغيان المال يستعبد به الأحرار، ويمتيز به الأشرار، واستدل بقول الله
عزوجل: [إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى] [العلق: 07] .

**ب. النص الفرعي الثاني (الحواس والمحسوسات) في مخطوط كتاب شرح
الجهالات، لابي عمار عبد الكافي التتتاي (ت 571هـ)**

أما الحواس الخمس فإنها سبيل إلى إدراك المعلومات، فهي جوالب إلى القلب، فيميز
القلب ما جلبت إليه، وأما المعلومات لتقسم قسمين:

إما ما أدرك بالحواس أو ما دل عليه ما أدرك بالحواس.

والحواس: أبعاد الحاسة وهي أجسام جواهر ليست صفات ولا أعراض.

وأما المحسوسات: فإنها صفات أجسام سواء ما يدرك بحاسة السمع من الأصوات

فإنه عرض من الأعراض، والمحسوسات صفات المحسوس عندنا.

والمتكلمين في ذلك اختلاف فزعم قوم أنها أبعاد المحسوسات من الألوان والطعوم والأرايح، والملموسات، واللون عندهم بعض الملون، والرائحة عندهم بعض المريح، وفي سائرهما، فزعم أنها أبعاد مجتمعة وأجسام متألفة وكل بعض منها بعض غير البعض الآخر، قال بذلك عبد الله بن يزيد من الأباضية وبعض المعتزلة .

وقد زعم أبوهذيل العلاف ومن وافقه من المعتزلة بأنها أعراض، وأن الجواهر قابلة لها وإمامهم في ذلك أرسطوطاليس، ولهم اختلاف في التغير ومفارقة التجزئة في كلام كثير تركته.

وقال النظام: وكان إمامهم في النظر، بأنها أجسام متداخلة على سبيل الولوج كل واحد منهما داخل في الآخر.

وقال عمرو الحسين الاطرابلسي عيسى بن بأنها صفات جواهر ليست بأعراض، ولا بأبعاد واعتماد أهل النظر من أصحابنا على القول الآخر.

فإن سأل سائل عن الحواس لم كانت حواسا ؟

قيل: لأنها يحس بها، وسميت المحسوسات لأنها تحس بالحواس وتدرك بها.

فإن سأل: عن الحواس والمحسوسات هل هي متغايرة مختلفة ؟

قيل: نعم، مختلفة متغايرة لا متضادة.

فإن قال: اختلفت لمعانيها أو لمعاني غيرها ؟

قيل: أما اختلاف الحواس فيما بينها فإنها اختلفت لاختلاف المحسوسات، كما أن المحسوسات اختلفت لاختلاف الحواس، وأما اختلاف الحواس مع المحسوسات فلأعيانها، وأما ما يدرك بحاسة واحدة أن يكون متضادا لما يدرك بالأخرى فغير جائز.

فإن سأل عن المحسوسات هل تجتمع في محسوس واحد ؟

قيل: نعم، ما خلى ما يدرك بحاسة السمع، وما يدرك بحاسة واحدة فليس يخل منه بالمحسوسات إلا صفة واحدة، سواء ما اتفق من ذلك، وما اختلف من المحسوسات.

فإن سأل عن الطبع في الحواس والاضطرار والاختيار ؟

قيل: أما الطبع فيها فقصر كل واحدة منها من إدراك

ما تدرك الأخرى، ولأن واحدة من هذه الحواس مطبوعة لا تدرك ما تدرك صاحبها، فالبصر مقصور على درك الألوان، والسمع مقصور على درك الأصوات، في سائرهما من

الحواس. والإضطراب للحواس ملاقاتها للمحسوسات ودركها لها، والاختيار في ذلك صرف الحواس، واستعمالهن إلى الدرك.

وقوله: وكيف عرفت ربك بأنه هكذا ؟

يريد أنه غير معروف بالحواس ولا مدرك بها ؟ وهو مع ذلك موجود ؟
كان السائل لا يقر إلا بما يدرك بالحواس، ولا يثبت غير ذلك فأجابه: بأن قال: نظرت إلى هذا الخلق فوجدته ذليلا مقهورا مغلوبا مربوبا إلى آخر الجواب، نعم فقد صدق، وإنما عرف العارفون ربهم بخلقه وتدييره وصنعتة، وذلك أنهم نظروا في الخلق فوجدوا ذليلا مقهورا مغلوبا فعلموا أن له مذلا وهو عزيزا، أذله ووجده مقهورا، فعرفوا أن له قاهرا يقهره، ومربوبا فعرفوا أن له ربا يملكه لأن الذليل المقهور المغلوب المربوب لا يكون عزيزا مذلا لغيره، ولا قاهرا ولا غالبا، ولا ربا فكيف يصح أن يكون عزيزا ذليلا وقاهرا مقهورا ؟ وربما مربوبا ؟ وهذا محال فاسد فلما كان الخلق ذليلا الخالق عزيزا مذلا لخلقه، ولما كان الخلق مقهورا كان الخالق قاهرا، ولما كان الخلق مربوبا كان الخالق ربا، فعرفوا بهذا المعنى إن الخالق لا يكون في صفة الخلق.

خاتمة:

نعتقد أن النصوص التي تضمنتها المقالة أصيلة مغربية جزائرية تعود إلى القرن الخامس للهجرة نشأت في بيئة شمال افريقية شديدة الانغلاق على نفسها لدرجة أننا قد نتعجب كيف عرف أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي آراء كلامية تعود إلى كبار المعتزلة في المشرق، يتعجب "المحقق محمود الألوسي" في مصدر الآراء الفلسفية الواردة في الكتاب: "وأما آراؤه الطبيعية فليس لنا ما يدل على أنه استقاها من هذا المصدر أو ذاك، كما أننا لا ندري كيف وصلته آراء "الجاحظ" و"النظام" وغيرهما، وأكثر ما نجده في الكتاب مناقشة نظرياتهم في المسائل الطبيعية من غير نسبتها إلى أصحابها." (المزاتي ا.، 2016، صفحة 66). أما "أبو عمار" فقد اقتبس هذه النصوص، وحدد هوية أصحابها القائلين بها من الفرق الكلامية القديمة غير الإباضية .

■ إن النتيجة السابقة تشجع على مشروع مدونة للأراء والمفاهيم الفلسفية والكلامية في المصادر الإباضية المغربية القديمة بعد تحقيق هذه المصادر محدودة العدد من خبراء بعلم الكلام لدى مختلف الفرق الكلامية وبالتالي تجاوز النظرة الفقهاء السلفية

لهذا التراث التي تحصره في زاوية الحلال والحرام فقط، الشيء الذي يمكن أن يفقده اللمسة الإنسانية، بمعنى أنه منتج معرفي صنعه الإنسان المغربي، هذا الإنسان من حقه أن يكتب ويبدع ويتجاوز المرجعيات من خارج الأرض التي وجد فيها .

أعتقد أن تحقيق هذه الأهداف قد يكون أسهل متى راعينا التوصيات التالية:

- ضرورة تحقيق وإعادة تحقيق مصادر التراث الإباضي المغربي القديم باعتماد صارم لمنهج تحقيق المخطوطات و الذي من أول شروطه ضرورة تحصل المحقق على كل النسخ الموجودة من النص دون إهمال أي نسخة، خاصة إن كانت نسخة قديمة فليس من المقبول إخراج تحقيق على نسخة فريدة ومتأخرة من القرن الثاني عشر للهجرة مع وجود نسخة قديمة كاملة من القرن التاسع للهجرة كما حدث مع تحقيق الأستاذ محمود الأندلسي لمخطوط التحف المخزونة .
- ضرورة اعتماد "علاقات النصوص" في تحقيق المخطوط وإحصاء كل الاقتباسات في المصادر اللاحقة متى كانت هذه الاقتباسات متطابقة مع بعض النص المحقق، لأنها الوسيلة الأمثل لسد الكثير من الفراغات والتصحيقات الموجودة في النص المحقق خاصة إذا كان موضوعه مسألة تتجاوز القضايا الفقهية التقليدية لندرة النصوص ذات الطابع الفلسفي والعلمي في التراث الإباضي ككل .
- فتح أبواب خزائن المخطوطات "مزاب" أمام المحققين، مهما كانت انتماءاتهم الفكرية والعقدية، وإذا كانت هناك شروط يجب أن توضع أمام المحقق فهي الشروط الموضوعية العلمية لتحقيق المخطوطات نفسها، ويفترض أن المحقق الجاد ملتزم بها التزاما ذاتيا، بل إن الحياد عن الإيديولوجيات من شروط العلم ذاته، الشيء الذي نتمنى أن نجده في القائمين على التراث الإباضي في الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني. (1974). طبقات المشايخ بالمغرب . قسنطينة: دار البعث.
- البرادي، أ.أ. (2014). الجواهر المنتقاة .لندن: دار الحكمة .
- السوفي، أ.ع. (000). متاب السؤالات (مخطوط . جلربة -تونس: الخزانة البارونية جربة .
- الشماخي، أ.أ. (2009). كتاب السير .بيروت: دار المدار الاسلامي .
- المزاتي، أ.أ. (2016). التحف المخزونة في إجماع الاصول الشرعية .الجزائر -القرارة: جمعية التراث

- المزاتي، ا. ا. (2017). كتاب التحف المخزونة . عمان: مكتبة خزائن الآثار .
- الوسياني، ا. ا. (2009). سير الوساني . مسقط - عمان وزارة الثقافة والتراث .
- بكر، أ. ز. (1985). كتاب السيرة وأخبار الائمة . تونس: الدار التونسية للنشر .
- عمار طالبي. (2013). آراء الخوارج الكلامية . الجزائر: موفم .
- نيهان، ك. ع. (2015). عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي . الكويت: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية دولة الكويت، سلسلة الوعي الاسلامي .